

تفسير البحر المحيط

@ 406 @ أَنتُمْ مَّغْنُونٌ عَنِ الْعَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَدِّهِ قَالُوا ° (سقط :
لو هدانا إلهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص } : قرأ السلمي ألم
تر بسكون الراء ، ووجهه أنه أجرى الوصل مجرى الوقف . وتوجيه آخر وهو أن ترى حذفت
العرب ألفها في قولهم : قام القوم ولو تر ما زيد ، كما حذفت ياء لا أبالي في لا أبال ،
فلما دخل الجازم تخيل أن الراء هي آخر الكلمة فسكنت للجازم كما قالوا في : لا أبالي لم
أبل ، تخيلوا اللام آخر الكلمة . والرؤية هنا بمعنى العلم ، فهي من رؤية القلب . وقرأ
الإخوان : خالق اسم فاعل ، والأرض بالخفض . قرأ باقي السبعة : خلق فعلاً ماضياً ، والأرض
بالفتح . ومعنى بالحق قال الزمخشري : بالحكمة ، والغرض الصحيح ، والأمر العظيم ، ولم
يخلقها عبثاً ولا شهوة . وقال ابن عطية : بالحق أي بما يحق من جهة مصالح عباده ، وإنفاذ
سابق قضائه ، وليدل عليه وعلى قدرته . وقيل : بقوله وكلامه . وقيل : بالحق حال أي محققاً
، والظاهر أن قوله : يذهبكم ، خطاب عام للناس . وعن ابن عباس : خطاب للكفار . ويأت
بخلق جديد : يحتمل أن يكون المعنى : إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بناس آخرين من
جنسكم آدميين ، ويحتمل من غير جنسكم . والأول قول جمهور المفسرين ، وتقدم نحو هذين
الاحتمالين للمفسرين في قوله في النساء : { إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَوْ يُبَدِّلْكُمْ } . وما
ويأت برآخرين { وبيننا في ذلك أنه لا يحتمل إلا الوجه الأول . وما ذلك أي : وما
ذهابكم والإتيان بخلق جديد بممتنع ولا متعذر عليه تعالى ، لأنه تعالى هو القادر على ما
يشاء . وقال الزمخشري : لأنه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ، فإذا خلص له
الداعي إلى شيء ، وانتفى الصارف ، تكون من غير توقف كتحريك أصبعك . وإذا دعا إليه داع
ولم يعترض من دونه صارف انتهى ، وفيه دسيعة الاعتزال لقوله : القادر ، لأنهم يثبتون
القادرية وينفون القدرة ، ولتشبيه فعله تعالى بفعل العبد في قوله : كتحريك أصبعك .
وعندنا أن تحريك أصبعنا ليس إلا بقدرة إله تعالى ، وأن ما نسب إلينا من القدرة ليس
مؤثراً في إيجاد شيء . .

وقال الزمخشري أيضاً : وهذه الآية بيان لإبعادهم في الضلال ، وعظيم خطبهم في الكفر
بإلههم ، لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة ، وحكمته البالغة ، وأنه هو
الحقيق بأن يعبد ويخاف عقابه ، ويرجى ثوابه في دار الجزاء انتهى . وبرزوا : أي ظهوروا
من قبورهم إلى جزاء إلههم وحسابه . وقال الزمخشري : ومعنى بروزهم إلههم ، وإله تعالى لا يتواري
عنه شيء حتى يبرز أنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ، ويطنون أن ذلك

خاف على ا ، فإذا كان يوم القيامة انكشفوا ا عند أنفسهم ، وعلماء أن ا لا تخفى عليه خافية . وقال ابن عطية : وبرزوا معناه صاروا بالبراز وهي الأرض المتسعة ، فاستعير ذلك لجميع يوم القيامة . وقال أبو عبد ا الرازي : تأويل الحكماء أن النفس إذا فارقت الجسد فكأنه زال الغطاء وبقيت متجردة بذاتها عارية عن كل ما سواها ، وذلك هو البروز ا تعالى . وهذا الرجل كثيراً ما يورد كلام الفلاسفة وهم مباينون لأهل الشرائع في تفسير كلام ا تعالى المنزل بلغة العرب ، والعرب لا تفهم شيئاً من مفاهيم أهل الفلسفة ، فتفسرهم كاللغز والإحاجي ، ويسميهـم هذا الرجل حكماء ، وهم من أجهل الكفرة با تعالى وبأ نبيائه . والضمير في وبرزوا عائد على الخلق المحاسبين ، وعبر بلفظ الماضي لصدق المخبر به ، فكأنه قد وقع . وقرأ زيد بن علي : وبرزوا مبنياً للمفعول ، وبتشديد الراء . والضعفاء : الأتباع ، والعوام . وكتب بواو في المصحف قبل الهمزة على لفظ من يفخم الألف قبل الهمزة فيميلها إلى الواو ، ومثله علموا بني إسرائيل . والذين استكبروا : هم رؤساؤهم وقاداتهم ، استغفروا الضعفاء واستتبعوهم . واستكبروا وتكبروا ، وأظهروا تعظيم أنفسهم . أو استكبروا عن اتباع الرسل وعبادة ا . وتبعاً : يحتمل أن يكون اسم جمع لتابع ، كخادم وخدم ، وغائب وغيب . ويحتمل أن يكون مصدرأ كقوله : عدل ورضا . وهل أنتم مغنون ؟ استفهام معناه توبيخهم إياهم وتقريعهم ، وقد علموا أنهم لن يغنوا والمعنى :